مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (3)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (3) 2014

مظاهر القوة والضعف في عصر الإمارة بالأندلس 138هـ-316هـ/ 755-928م

الدكتورة وفاء صارم•

(تاريخ الإيداع 17 / 3 / 2014. قبل للنشر في 19 / 5 / 2014)

□ ملخّص □

يهدف البحث إلى بيان مظاهر القوة والضعف في عصر الإمارة بالأندلس من الجانب – السياسي – العسكري– الاقتصادي– العمراني– الإداري ، وانطلاقا من معالجة هذه القضايا يتم توضيح الأوضاع السياسية والحضارية في الأندلس وانعكاساتها على الوضع العام الأندلسي في عصر الأمارة .

الكلمات المفتاحية: الأمارة – السياسي – العمراني– العسكري

• مدرسة – قسم التاريخ – كلية الآداب– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (3)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (3) 2014

Manifestations of Strength and Weakness in the Emirate Period in Andalusia (138- 316 AH / 755-928 AD)

Dr. Wfaa Sareem •

(Received 17 / 3 / 2014. Accepted 19 / 5 / 2014)

□ ABSTRACT □

This research shows manifestations of strength and weakness of the Emirate Period in Andalusia mainly regarding the political, military, economic, construction and administrative aspects. Addressing these issues clarifies the politics and civilization of Andalusia in addition to their impact on the overall situation in the Andalusia Emirate Period.

Keywords: Emirate, politics, construction, military.

•**Assistant Professor, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدمة:

قامت الإمارة الأموية في الأندلس بجهود الأمير عبد الرحمن (138- 172 هـ / 756 – 788 م)، وجهود حلفائه من بعده، حيث عملوا على بناء دولة قوية قضت على المشاكل التي واجهتهم جميعها، ولكن مع وفاة الأمير عبد الرحمن الثاني في سنة 238 هـ – 852 م، بدأت فترة مضطربة من تاريخ الأندلس، تمزقت فيها وحدة البلاد السياسية و امتدت التمردات شمالاً و جنوباً، و فقدت الحكومة المركزية في الأندلس السيطرة على زمام الأمور [1]

ومع هروب الأمير عبد الرحمن من بطش العباسيين الذين قضوا على أبائه في المشرق، وتمكن من أن ينصب نفسه أميراً على الأندلس، بعد أن استعان باليمنيين الذين لم يرضوا بحكم واليهم يوسف الفهري المتعصب لجماعته المضرية، أضف إلى ذلك مساندة موالين الأمويين لعبد الرحمن الذي استطاع أن يُنزل بخصمه يوسف هزيمة نكراء ، شتت شمله، و فرقت أتباعه، و بدخول عبد الرحمن الأندلس بدأ عصرٌ جديداً [2]. إذ بدأت مع ظهور عصر الإمارة نظما جديدة، كما استقرت الدولة العربية في الأندلس، وأصبحت نظمها تظهر أكثر وضوحاً مما كانت عليه في عصر الولاة . أما من الناحية الروحية فقد استمر عبد الرحمن الداخل لفترة قصيرة من الزمن بالخطبة و الدعاء للعباسيين في المشرق لكنه لم يلبث أن قطع الدعاء [3].

أهمية البحث وأهدافه:

وتتجلى أهمية دراسة مثل هذه المظاهر سواء أكانت سياسية أم حضارية، في تقديم رؤية شاملة للدارسين عن الوضع العام في عصر الإمارة في الأندلس، التي من خلالها نستطيع أن نستوضح الفترات المتعددة التي مر بها عصر الإمارة في الأندلس الذي كان في صعود وهبوط وفق شخصية الحاكم، كما يحاول البحث الوقوف عند التأثير الدمشقي في عصر الإمارة وتحديداً في المجال الإداري والعمراني.

منهجية البحث:

جمع المادة العلمية من مختلف المصادر والدراسات التاريخية، معتمداً على الجانب التحليلي العلمي النقدي المؤسس على الاستقراء والاستنتاج ومقارنة المعلومات التاريخية بغية الوصول إلى الحقائق المتعلقة بموضوع البحث ملتزماً بجميع قواعد منهجية البحث التاريخي من حيث قواعد المعرفة والمعالجة الموضوعية القائمة على التحليل والتعليل والتوثيق والمقارنة ودقة اللغة وحسن التعبير و سهولة الأسلوب للوصول إلى الحقيقة التاريخية.

[1] – ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ت 630 هـ) : الكامل في التاريخ، القاهرة، 1290 هـ، ج7، ص 145

[2] –المراكشي (أبو محمد عبد الواحد بن علي محي الدين التميمي ت بعد سنة621 هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد سعيد الريان، القاهرة، 1963، ص 29 .

[3] –المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت 1041 هـ) : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المطبعة الأزهرية، مصر، ج3، ص59 / ابن حزم (أبو محمد علي بن محمد بن حزم القرطبي ت 456 هـ) : نقط العروس، تح شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، القاهرة، مجلد 13، العدد 2، 1951، ص 75 / ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت 658 هـ) : الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2 1985، ج1، ص 35 / العبادي (أحمد مختار) : في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرف، د.ت، ص 102

أولاً: مظاهر القوة و الضعف في المجال السياسي:

كانت أولى أعمالهم على الصعيد الداخلي توحيد الجبهة الداخلية تحت قيادتهم، فقد كانت البلاد في أواخر عصر الولاة تعيش في حالة فوضى كبيرة ، و سفك للدماء بين الولاة المتنازعين على الحكم، فالبلاد كانت ساحة للصراع بين القيسية واليمنية من جهة ، و بينها و بين البربر من جهة أخرى ، فقام عبد الرحمن الداخل بضرب تلك العناصر، واستعان في ذلك بصراع بعضها البعض ، و أقام حكماً مطلقاً كان الحكم الفاصل و الكلمة الأخيرة للسيف وحده بعد أن فشلت سياسة اللين [4]. بذلك تمكن حكام قرطبة من القضاء على تلك الفتن، والمشاكل وعلى رأسهم يوسف الفهري والصميل بن حاتم وبالتخلص منهما خطى خطوة كبيرة نحو تحقيق الاستقرار في دولته.

لكن الأمر لم يقف عند أطماع العرب في الأندلس ووضع حد لها، فقد تمكن عبد الرحمن الداخل من القضاء على الثورات التي قامت ضدهم رغم التشجيع الذي لقيته تلك الثوارت، سواء من العرب أم من البربر أم بمساعدة الدول الخارجية كإسبانية، فقد نجح في القضاء على حركاتهم [5]، ومنها ثورة هشام بن عروة الفهري والتي تعد من أهم الثورات الداخلية الخطيرة أيام عبد الرحمن الداخل، غير أن هذا الأخير تمكن من قتله، بالإضافة إلى التمردات التي دبرها أحد أفراد البيت الأموي، ألا و هو المغيرة بن الوليد ابن أخ عبد الرحمن، فقد كان الهدف منها إبعاد الداخل عن الحكم، إلا أن عبد الرحمن قام بقتل جميع المشتركين فيها [6]، يضاف إليها الدسائس التي قادها أخوه الأمير هشام بن عبد الرحمن ضده، و ثورات المولدين أيام الحكم بن هشام [7] . كما وضع الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) حداً للفتنة التي نشبت بين المضرية والقيسية . التي استمرت زهاء سبع سنوات (207 – 2132 هـ / 823 – 829م)، بالإضافة إلى القضاء على ثورة البربر التي انضم إليها النصارى المعاهدون، و أمدها الفرنجة بالأموال والرجال وهنا تكمن خطورتها، لكنه تمكن من القضاء عليها [8]. بالقضاء على الدسائس الداخلية والمؤامرات، تمكن بنو أمية من توحيد جبهتهم الداخلية، وتفرغوا للتصدي نحو المؤامرات الخارجية، متمثلا بداية في الخطر العباسي بقيادة العلاء بمن المغيث الجذامي في باجّة في الغرب الأندلسي، بتشجيع من الخلافة العباسية ودعمها التي غضبت من قطع الأمويين الدعوة لهم في بلاد الأندلس، فراسلوا العلاء وشجعوه ضد الأمويين وبعثوا له كتاباً بتعيينه والياً لهم على الأندلس، وتمكن الداخل من القضاء عليه وبعث رأسه إلى أبي جعفر المنصور في الحج فقال المنصور((الحمد الله الذي جعل البحر بننا وبين هذا الشيطان))[9].

وتمكن من التصدي لخطر الفرنجة الذين قاموا على التعاون مع العباسيين والمتآمرين في الداخل ضده، لكن عبد الرحمن الداخل تمكن من القضاء عليهم بالإعتماد على الحيلة والذكاء، وفي عهد هشام وصلت الجيوش الأموية

---

[4] -ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي ت 683 هـ) : المغرب في حلى المغرب، تح شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، ج1، 1955، ص 60 . / ستانلي (لين بول) : قصة العرب في اسبانية، ترجمة علي الجارم، مصر، 1960، ص 60

[5] - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص 7-18 .

[6] -ابن عذارى (العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ليفي بروفنسال، بيروت، 1969، ج2، ص 85 .

[7] -ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر الإشبيلي ن 367 هـ) : تاريخ افتتاح الأندلس، تح ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط1 بيروت 1985 ، ص 46 / ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس المغرب، ج2، ص 111

[8] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص 325 .

[9] - ابن عذارى، المصدر السابق، ص 78.

نحو جليقية عا 175هـ/ 791م فكان النصر حليفاً للجيش العربي الإسلامي وعاد قائده محملا بالغنائم[10]. وبنفس السياسة سار الحكم الربضي تجاه الممالك الاسبانية محققاً انتصارات رائعة على الإسبان والفرنجة. أما في عهد عبد الرحمن الثاني فقد توجه الاهتمام نحو النورمانديين الذين أخذوا بالإغارة على السواحل الأندلسية.

حقق أمراء بني أمية هذه الانتصارات من خلال تغيير مفهوم الحكم عن طريق إحلال سلطة الدولة مكان سلطة القبيلة، ففي عهد الولاة كان الحكم القبلي، أي أن كل قبيلة محكومة من قبل الزعيم ،الذي كان يسعى للحصول على المصالح و الامتيازات له و لأفراد قبيلته، و يتصرف مع بقية العشائر والقبائل وفقاً لهذه السياسة، وكانت بعض القبائل عندما تنفرد بالسلطة تتكل بغيرها من القبائل، و كان من أهم أهداف سياسة عبد الرحمن الأول، السيطرة القوية على البلاد و التقليل من نفوذ رجال القبائل و إحلال سلطة الدولة متمثلة بالأمير مكان سلطة القبائل ومنازعاتها، لهذا نرى الأمير عبد الرحمن يقف موقفاً حازماً من المؤيدين عندما حاولوا خلق جو من الفوضى والانتقام من المهزومين في معركة المصارة، وذلك بنهب قرطبة، وقد ازدادت شكوك عبد الرحمن الأول من جدوى الاعتماد على رجال القبائل و زعمائهم، عندما اكتشفت مؤامراتهم للتخلص منه في الساعات الأولى بعد انتصاره على يوسف والصميل .

وكان لمبدأ وراثة العرش أو تمركز السلطة في بيت الأمير الحاكم فقط ، وانتقال الحكم إلى ابنه دون بقية أفراد الأسرة الأموية أثر كبير في استقرار الأمور السياسية في فترة القوة وقدرتها على مقارعة المشاكل سواء في الداخل أم الخارج ، فقد كان الأمويون في الأندلس أحوج إلى الوحدة و إلى تركيز السلطة على هذا الشكل أكثر من غيرهم من الأسر الحاكمة في الأقطار الإسلامية الأخرى و ذلك بسبب طبيعة البلاد وتباين الأجناس والعناصر التي تقطنها أضف إليه ملاحقتها لعدو لا يَكف من التطلع إلى استرداد أرضه [11] لكن هذا الأمر كان خطر جداً في الفترة المتأخرة ، وخصوصاً عندما يستلم ولي عهد صغير ويتم تعيين وصي عليه ، يقوم هو بحكم البلاد . فوراثة العرش لم تكن بالأمر السهل ومنه يمكننا القول بأن أمراء بني أمية لم يعتمدوا على الشورى في اختيار حكامهم ، و لو أنهم اعتمدوا على هذا المبدأ لكان البحث في مظاهر ضعفهم نادرا جداً.

ومما ساعدهم عل تحقيق هذه الانتصارات وتفوق مظاهر القوة على مظاهر الضعف في المجال السياسي هو إحداث التوازن بين القوات الخاصة التي أحدثوها من الموالي والصقالبة والمغاربة ،ومن قوات القبائل المنتشرة في الكور، أو الولايات [12]، كما كان لشخصية الأمير و لقوتها بالذات أثر في نجاح سياستهم بالسيطرة على القوات الخاصة ، وتوجيهها لتحقيق مصلحة الدولة ، كما استطاعوا بذلك أن يقضوا على الثوار في كل ناحية واستطاعوا أن ينازلوا الإسبان في الشمال ، وأن يلحقوا بهم الهزائم ، ويجبروهم على طلب الأمان والسلام ، غير أن أمراء بني أمية في أواخر فترة حكمهم، اعتمدوا عليهم ، فاختل التوازن وحاولوا السيطرة على تقاليد الحكم و السلطة ، فنزعت بعض القبائل إلى الاستقلال عن قرطبة و بذلك تجزأت البلاد.

من مظاهر قوتهم السياسية الاستعانة بالمولدين في حكم الثغور واصطناعهم لحل مشاكلهم في الداخل. وتوجيه نشاطهم في رد هجمات الشمال الإسباني وضربهم بالعرب إذا حاولوا التمرد والعصيان ، واستخدم السياسة هذه الأمير الحكم الربضي في سنة (180 هـ . 206 هـ / 796 – 821 م) ، وذلك عندما استعان بعمروس بن يوسف في

---

[10] – المصدر السابق، ج2، ص 95.

[11] LProvencal:Histoire del 'EspagneMuslumame , paris 1989, p.225

[12] الحميري : (محمد بن عبد المنعم ت 726 هـ) : صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح ليفي بروفنسال، دار الجبل، بيروت، ط2، 1988، ص 30 / ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص 139

القضاء على ثورة المولدين . إلا أن العلاقة بين المولدين وتحديداً في منطقة الشمال وبين حكومة قرطبة ، كانت متأرجحة بين الطاعة والعصيان ، و كان المولدون يحاربون الإسبان شمالاً وأحياناً يتحالفون معهم ، وذلك لتحقيق مصالحهم الذاتية ، وحماية نفوذهم ولإبقاء سلطانهم على تلك المناطق في بلاد الأندلس . وعندما حاولت تلك الأسر من المولدين أن تنفصل عن قرطبة و إعلان العصيان في أواخر عصر الإمارة ،إذ قام أمراء بني أمية بضربهم ببعض الأسر ذات الأصل الغربي .[13]

لكن هذه الطبقة من السكان تجنح إلى السلم والطاعة في فترة القوة لكن في فترة الضعف تعلن العَداء لحُكام قرطبة، ومن أهم الثورات ثورة ابن حفصون وابن مروان الجليقي المولدي الأصل . [14] وقد عبر المولدون عن كُرهِهم للعرب، بسبب نظرة العرب المتُعالية نحو الآخرين، وكان لمقتل عدد من الزعماء العرب على يد المولدين، أثر في انتشار الفتنة، وإثارة الأحقاد القومية بين العنصرين العربي والإسباني . وأصبحت حركات التمرد في أواخر عصر الإمارة ذات طبيعة عنصرية، فقد قام المولدون بالاستعانة بالإسبان في الصراع الداخلي، الأمر الذي أعطى الإسبان فرصة للقيام بهجمات متكررة على الأندلس . وهنا تكمن خطورة هذه الثورات باعتمادها على الاتصال الخارجي، والدويلات المعادية التي تطمع في الاستقلال، وإنهاء الوجود العربي في شبة الجزيرة العربية .ولم تقتصر ثورات المولدين على الثغور بل وصلت إلى داخل طليطلة وقرطبة، فثورة المولدين في طليطلة في عام 181 (هـ/ 797م) ، كان هدفها الاستقلال عن قرطبة وإقامة إمارة للمولدين فيها، وقد لجأ الحكم الربضي إلى الحيلة للقضاء عليها وذلك لصعوبة الحل العسكري، إذ قام بتعيين عمروس بن يوسف والياً على المدينة، وهو أحد المولدين المخلصين للحكم، وتظاهر بكراهيته للحَكَم الربضي ورغبته في الثورة والاستقلال عن قرطبة، فأمن الناس جانبه فأقام وليمة كبيرة ودعا إليها أعيان البلد وكبار الثوار ثم ضرب أعناقهم وألقى بهم في حفرة. كما تصدى الحكم لثورة المولدين الثانية في قرطبة، التي عرفت بالربض لأنها حدثت في ضاحية المدينة ، حيث تجمعت العناصر المناوئة للحَكَم، وتخلص منهم بقسوة وعنف شديدين.[15] .

هذه السمات التي ميزت الجانب السياسي الأندلسي، أدت إلى قيام معاهدات بين الأندلس والإمارات الإسبانية في الشمال ، أعطت للجانبين فرصاً كثيرة للاتصال والتعرف والاقتباس وهذا لا ينفي وجود اتصالات دبلوماسية بين الطرفين ، ولو أنها لم تكن واضحة بشكل كبير كما كانت عليه في عصر الخلافة الأموية في الأندلس . ففي عهد عبد الرحمن الأول عقد اتفاق أمان وسلام بين الأمير الأندلسي وبين جيرانه حكام قشتاله ، و هو " بسم الله الرحمن الرحيم " كتاب أمان الملك العظيم عبد الرحمن للبطارقة والرهبان والأعيان والنصارى ، والأندلسيين أهل قشتاله ، ومن تبعهم من سائر البلدان ، كتاب أمان وسلام ، وشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب ، وعشرون آلاف رطل من الفضة ، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل ، ومثلها من البغال ، مع ألف درع ، ومثلها من الرماح ، من عام إلى خمس سنين ، كتب بمدينة قرطبة ثلاث صفر عام اثنين وأربعين ومائة (حزيران 759م).[16]وهذا كله يعكس قوة عبد الرحمن ، إذ إنه لا وجود لعلاقات ودية ذات أهمية في عهد بقية الأمراء

---

[13] ابن حيان (أبية مروان حيان بن خلف القرطبي ت 469 هـ): المقتبس من أبناء أهل الأندلس، نشر الأب طشورأنطونيه، باريس، ج3، 1937، ص 16- 20

[14] المصدر السابق، ج3، ص 54 .

[15] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 111/ ابن القوطية ، المصدر السابق، ص 46.

[16] Mcasirl,Beblio theca,Arabica Escuria lenis, madrid,1770,vol 2, p 30

الأمويين باستثناء عبد الرحمن الثاني أو الأوسط ،الذي وصلت الدولة العربية في الأندلس في عهده إلى مكانة مرموقة، وأصبحت مركزاً للنشاط الدبلوماسي وللسفارات في الغرب العربي ، وقد بلغت هذه العلاقات الدبلوماسية أوجها مع الإمبراطورية البيزنطية [17] ، وكمثال على ذلك عندما عمل امبراطور بيزنطة (تيوفل) على الإستعانة بهذه القوة الناشئة كحليف جديد له يقف معه ضد الأخطار في المشرق متمثلة بالخليفة المعتصم(العدو المشترك بين الطرفين). فأرسل سفارة إلى عبد الرحمن الثاني في قرطبة في عام(225هـ/840م) ، ودعاه إلى التحالف معه ضد العباسيين ، والعمل على إقناع الربطيين الذين احتلوا اقريطش في الساحل الشرقي لدولته بالتخلي عنها. وقلل الأمير من عرض الصداقة ورفض مقاتلة المسلمين، وقام بدوره بإرسال سفارة متميزة إلى القسطنطينية[18]. وهذا الأمر إن دل على شيء ، فهو يدل على المكانة المرموقة للأندلس آنذاك.

أما بالنسبة للعلاقات مع الإسبان ، فلم تكن بتلك القوة ، وكانت بعض معاهدات الصلح تفرض بعد الانتصارات الأندلسية ، ولهذا كانت معظم هذه المعاهدات لا تحترم كثيراً من قبل الإسبان بل كانت تنقض في معظم الأحيان خاصة إذا ما شعروا بقوتهم وضعف الدولة العربية الإسلامية في الأندلس . كان للمصاهرات بين العرب والإسبان ، كان لها صداها ، وكانت شائعة سواء في داخل الأندلس ، أم مع الإمارات الإسبانية في الشمال ، كما كان الحكام يشجعون هذه المصاهرات ، إذ أخذ بعضهم بالتزوج من نساء إسبانيات و قامت علاقات مصاهرة قوية بين بعض الأسر ذات النفوذ في منطقة الثغر الأعلى، من مثل بني قسي المولدين وبين حكام نافار في الشمال [19]و ما هذه المصاهرات إلا دليل واضح على مدى العلاقات القوية والمتشابكة بين سكان الأندلس وجيرانهم الإسبان في الشمال ، الأمر الذي كان له أثراً بارزاً في احتكاك الشعبين واختلاطهم و في انتقال مظاهر الحضارة فيما بينهم .

ثانياً: مظاهر القوة والضعف من الناحية الاقتصادية:

كان استتباب الوضع السياسي في الأندلس في عهد الإمارة بمثابة ضوء أخضر أعطى إشارة بدء عملية بناء الاقتصاد الأندلسي، بعدما أغلق عبد الرحمن الداخل باب السلطة في وجه الفئات المتنازعة والشخصيّات الطموحة، فتحوّلت القوى المهدورة في النزاعات السياسيّة إلى المساهمة في زيادة الإنتاج وتحقيق الرخاء الذي قام على الزراعة والتجارة والصناعة المتوافرة في ذلك الوقت. وبدأ وضع أسس قيام النهضة الزراعيّة والتجاريّة. ولم يكن الفلاحون بمنأى عن السياسة القوطيّة الجائرة المتّبعة في آيبيرية، إذ كانوا عبيداً أجراء لدى النبلاء يقدّمون لهم بين 50 و80 في المائة من المحصول. ولم تكن حصة الفلاحين تكفي أحياناً لبذار الموسم التالي أو لسدّ حاجة العاملين في الحقول، الأمر الذي أدّى إلى تضاؤل الاهتمام بالأرض، فأهملتهم عندما أهملوها. ونزلت بآيبيرية قبل ثلاث سنوات من الفتح العربيّ مجاعة شديدة، وعصف بالسكان وباء فأودى بحياة الكثيرين.

وأعيد توزيع الأراضي الأندلسيّة بعد الفتح، طبقاً للطريقة التي سقطت بها هذه الأراضي؛ فمنها ما استبقاه السكّان المحليّون على صلح، ومنها ما ملكه الفاتحون بعد حرب أو بعدما فرّ أصحابها، ومنها أيضاً ما مُلك بطرق مختلفة أخرى. أمّا السكّان المحليّون الذين استمرّوا في العمل أو السكنى في أراضيهم، فكانوا عموماً يدفعون جزية

[17] بروفنسال(ليفي): الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، 1956، ص 95.

[18] المرجع السابق، ص 100.

[19]ابن حزم (أبو محمد علي بن محمد بن حزم القرطبي ت 456 هـ) : جمهرة أنساب العرب، تح ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1948، ص 502 .

وخراجاً على أرضهم من الغلة يراوح بين 20 و35 في المائة وأحياناً 50 في المائة طبقاً لنوع المحصول وفترة إثماره والكمية الفائضة عن الاستهلاك والبذار.

وتوضح المعلومات الاقتصادية المتوافرة عن تلك الفترة من تاريخ الأندلس أنّ القمح كان المحصول الرئيسيّ، ويبدو أنّه كان يزيد على حاجة السكان في أغلب الأحايين. كما احتل الزيتون مرتبة مهمّة فعُمد إلى توسيع نطاق زراعته وتحسينه لاسيما في المناطق المحيطة بمدينة "جيان" التي لا تزال حتّى اليوم تعيش على الزيتون مصدراً رئيسيّاً لاقتصادها. وأدخل العرب في سنوات ما بعد الفتح مزروعات جديدة إلى الأندلس شملت الحمضيات واللوز والتين والدراق والرمان والموز والزعفران والقطن والكتان وقصب السكر والمشمش "ومع الزمن أصبحت بلاد الأندلس كأنّها بستان واحد متّصل، كثيرة المبنى والثّمار، وإذا سافر المرء من مدينة إلى أخرى، سار في مناطق عامرة مأهولة تتخلّلها قرى كثيرة نظيفة ومبيّضة الدور من الخارج، ولم يحتج المسافر أن يحمل معه زاداً أو ماءً" [20]. وحيثما وجد عرب أو بربر في منطقة أو أخرى، أعطى هؤلاء المكان سمات متميّزة كما حدث بالنسبة للسوريين في كورة البيرة (غرناطة) والمصريين في باجّة وتدمير (مرسية) والفلسطينيين في مناطق شذونة، والأردنيين في رية، وأهل حمص في إشبيلية، والبربر في المناطق المرتفعة التي تلائم طبيعتهم وتتشابه مع المناطق التي قدموا منها قبل الفتح.

وسدّ تطوّر الزراعة في الأندلس حاجة الاستهلاك المحلي وقدم جزءاً كان يُصدر إلى الشمال الأفريقي ومنه إلى مصر، وربّما وصل بعض المنتوجات إلى بغداد. لكن هذا لا يعني أنّ الخير كان عامّاً، إذ تسبّبت عوامل كثيرة في إضعاف المحصول في بعض السنين، وحتى في وقوع مجاعات عدّة، كما حدث عام 199هـ/ 815م عندما مات أكثر الخلق جهداً. أمّا في الأوقات غيرها فقد استطاعت الأندلس النهوض من محنتها ومتابعة صنع الرخاء الذي عرفته حتى في أوقات ضعف سلطتها السياسية.

واستفاد الأندلسيون في نشاطهم الزراعيّ من القنوات التي بناها الرومان في القرن الأول الميلادي، لكنّهم زادوا عليها وأصلحوا القديم منها وحسّنوه وشقّوا قنوات جديدة. وأتقن الأندلسيون التعامل بفنون السقاية وجلب المياه من مسافات بعيدة. كما استخدموا النواعير، وتعرّض النشاط الزراعي في الأندلس إلى الإهمال، نتيجة للحركات والتمردات التي كانت تؤثر سلباً على الزراعة.

وفّر تطوّر زراعة القمح والقطن والكتان والتوت وازدياد الاعتناء بتربية الماشية الموادّ الأوليّة اللازمة لقيام صناعات خفيفة، لقيت تشجيعاً مناسباً، فنمت في معظم أرجاء الأندلس مستفيدة من الخبرات التي توافرت لدى السكّان المحليين في بداية عهد الفتح، ومن الخبرة التي حملها العرب الذين استوطنوا الأندلس في سنوات لاحقة.

وبتوافر الموادّ الأولية والخبرة تطوّرت صناعة المنسوجات والسكّر والخزف والسجّاد والعطور والموادّ الكيماويّة المختلفة، لاسيّما الأصباغ، وكذلك صناعة الزجاج والصناعات اليدوية الأخرى. وترد إشارات كثيرة إلى هذه الصناعات إذ أنشأ عبد الرحمن الداخل داراً خاصّة للطراز، تُصنع فيها ملابس أصحاب الخدمة. وتطوّرت صناعة الملابس في ما بعد لتغطّي الاستهلاك المحليّ مع تخصيص قسم كان يُصدّر إلى المغرب أو الشمال.

وأحسن الأندلسيون استغلال عدد كبير من المعادن المحلية مثل الحديد والزئبق والنحاس، فكان ذلك عاملاً مهمّاً في تطوير صناعة الأسلحة والمعدات العسكرية الأخرى التي كانت مستخدمة في ذلك الوقت. وشجّع عبد الرحمن الثاني هذه الصناعة وذاع صيت طليطلة كمركز رئيس لصناعة الأسنّة والرماح والسيوف وغيرها من الأسلحة، ثمّ تطوّرت هذه الصناعة في العصور الأحدث، فصارت تُنتج البنادق والأسلحة الفردية وغيرها.

---

[20] – **الشكعة (مصطفى): تاريخ الأدب الأندلسي ، دار العلم للملايين،1975، ص 21.**

أمّا الصناعات الأثقل فشملت السفن بكلّ أنواعها السفريّ والتجاريّ والحربيّ استجابة لمتطلبات الدفاع والتجارة والتنقل، وتركّزت في الجنوب الأندلسيّ، وعلى الساحل الشرقيّ في مدن مثل المرية ولقنت ودانية وغيرها.

ويبدو أنّ إنتاج السفن كان كبيراً، نظراً إلى توافر معظم الموادّ الأوليّة اللازمة لذلك في الأندلس وبلاد المغرب وصقليّة التي كانت تُجلب منها أخشاب السفن مثل الصنوبر والأرز والبلّوط. ومن هذه الأخشاب كانت تُصنع ألواح السفن والصواري والمجاذيف، فيما توافرت الموادّ الأخرى بكثرة "مثل الحديد لعمل المسامير والمراسي والروابط والخطاطيف والعرادات والفؤوس واللتوت والدبابيس والجواشن وغير ذلك من الآلات والأسلحة، والنحاس الذي تصنع منه السلاسل، والألياف لعمل حبال المراسي.

وتذكر وثائق تاريخية أنّ عدد السفن التي استخدمت في إخضاع سكان جزيرتي ميورقة ومنورقة عام 234 هـ/ 849م (كان نحو 300 سفينة ممّا يدّل على اتّساع صناعتها. كما استخدم عدد كبير من السّفن لحراسة الشواطئ الأندلسية، لاسيّما إثر الهجمات التي شنّها النورمان 844. ولا شكّ في أنّ توافر مثل هذا الأسطول لغرضي الدفاع والتجارة كان سبباً مهمّاً في إيجاد الاستقرار المطلوب للاستمرار في تطوير البنية الصناعيّة الأندلسيّة وزيادة رخاء البلاد. ساهم وجود فائض في المنتوجات الزراعية والصناعية في تشجيع تجارة نشطة عادت على الأندلس بالرخاء ومنحتها القوة التي مكنتها من التصدي للشماليين حتى بعد انهيار الخلافة، وإن كان هذا الرخاء أجّج أطماع الممالك الشمالية.

ومنذ نشوء الأمارة في الأندلس تكاملت القدرات الإدارية اللازمة لبدء عملية بناء الاقتصاد الأندلسي، فاعتمد الناس في بداية الأمر الأوزان والمقاييس ذات الأصل الروماني. وسكّ عبد الرحمن الداخل الدينار القرطبي، فأصبح عملة مقبولة في كلّ الأندلس، وفي كثير من دول أوروبا.

وكانت المبادلات التجارية الدوليّة تتمّ بالدينار العربيّ ودينار بيزنطة ودينار غالة الذي سكّه للمرة الأولى الملك شارلمان. ولم تكن العملة التي سكّت بأمر عبد الرحمن هي الأولى التي تُضرب في الأندلس، إذ سعى موسى بن نصير في بداية عهد الفتح إلى إبراز مظهر السلطة الإسلامية في آيبيرية فضرب أوّل النقود التي كانت صورة عن النقود المستخدمة في آيبيرية قبلاً، سواء من ناحية المعدن أو الكتابة بالحروف اللاتينية مع استبدال المعاني المسيحيّة بأخرى إسلامية، وإضافة التاريخ الهجريّ عليها. وتطوّرت عمليّة سكّ العملة في عهد عبد الرحمن فأنشأ داراً خاصّة لها في عاصمة الإمارة[21].

وكان الأندلسيون يصدّرون إلى المغرب ومصر والشام وغيرها المنسوجات والوشي والبسط والزجاج والزعفران والورق والجلود وزيت الزيتون والأسلحة والزئبق والتوتياء والعنبر والعبيد الصقالبة، فيما كان التين (لعله مجففاً) يُحمل من مالقة و"يباع في بغداد".

واستوردت الأندلس عدداً كبيراً من المصنوعات والموادّ الأوليّة والفستق والجلود والزنوج الأفارقة، وظلّ الميزان التجاريّ لصالحها في أغلب الأوقات. وكان التجار الأندلسيون يحملون إلى قرطبة وإشبيلية وبلنسية وغيرها الذهب الذي كان يُستخرج من ضفاف أنهار غرب أفريقيا ويُنقل عبر المغرب. وظلّ ذاك المصدر أهمّ مصادر المعدن الثمين إلى حين اكتشاف الذهب والفضة في بلاد أفريقيا أخرى والعالم الجديد. وأدّت الأندلس أيضاً دوراً رئيسياً كمصدر ومستورد مع الممالك الأوروبية، فشملت الصادرات المنسوجات والملابس والمصنوعات اليدوية المتنوعة وغيرها الكثير[22].

---

[21] – فهمي (عبد الرحمن): موسوعة النقود الإسلامية، القاهرة، د.ت، ج1، ص 710.

[22] – ابن حوقل(أبو القاسم محمد بن علي ت 380هـ) صورة الأرض ، ليدن، 1967. ص .110

وكانت هذه التجارة مصدر رخاء كبير لمدن مثل بمبلونة وبرشلونة، وعادت على الشماليين بدخل استخدموا بعضه لشراء المنتوجات الأندلسية المتنوّعة، والبعض الآخر للإنفاق على الجيوش. فالتجارة في تلك الفترة، كما هي اليوم، كانت تتمّ من دون الالتفات كثيراً إلى بعدها العسكريّ، حتى أنّ ملوك الشمال الآيبيري درجوا على شراء ملابسهم من الجنوب، لاسيّما الحريريّة، خلال فترات اندلاع الحروب بين الجهتين.

كما أدّت الأندلس دوراً رئيسياً كمركز لإعادة تصدير البضائع الشرقية والمغربيّة إلى الشمال وأوروبا، خصوصاً التوابل والأفاوية والمكسّرات والعطور وغيرها من الموادّ.

وكان الأمان النسبي الذي ساد البحر الأبيض المتوسط (البحر الشّاميّ) عاملاً مهمّاً في زيادة التبادل التجاريّ مع الأندلس، إذ كان هذا البحر خاضعاً للنفوذ العربي اعتباراً من منتصف القرن السابع الميلاديّ ؛ لكن الحركة التجارية كانت أنشط مع المغرب، لاسيّما المغربين الأوسط والأقصى لسعة أسواقهما وارتفاع عدد سكّانهما. ووفّر هذا الوضع الاقتصادي الجيّد للأندلس رخاء كبيراً، ربّما فاق في بعض الفترات رخاء المشرق في القاهرة وبغداد ودمشق، ومكّن الأندلسيين من تطوير الزراعة والصناعة والتعامل التجاريّ تحت غطاء الأمن والاستقرار. إلا أن الأمر بدأ يتغيّر بعد انتهاء فترة حكم الأقوياء واهتزاز الأمن في الأندلس.

ثالثاً: مظاهر القوة والضعف في المجال الاجتماعي:

من المظاهر التي تجلت في عصر الإمارة، والتي تدل في مضامينها على مدى قوتها، وتعدّ بحق مظهر من مظاهر القوة، فقدرة الدولة بالمحافظة على وحدة البلاد الروحية، وضبط جميع الاتجاهات، وهذا دليل واضح على مدى القوة التي وصلت إليها السياسة الحكيمة لدى الأمراء، فهي بذلك حمتها من صراعات عدة . كانت الحياة الدينية في الأندلس في الفترة الأولى متأثرة ببلاد الشام، فقد اعتنق أهل الأندلس مذهب الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، و هو إمام الشام المتوفى في سنة 157 هـ - 773 م، و سمي بإمام الحرب، و كان مذهبه يرتكز على التشريعات الحربية وأحكام الجهاد والحرب، و هي أمور تتناسب مع وضع أهل الأندلس في الفترة الأولى، فوضعهم كان قائماً على الحرب والتوسع والجهاد لذا قاموا باعتناق مذهب الأوزاعي [23]. و مع بدء الاستقرار وفترة القوة التي عاشتها الأندلس، بدأ مذهب مالك يدخل شيئاً فشيئاً إلى الأندلس، وقد لقي استحسان الأمراء، فكانت بداية دخول مذهب مالك بن أنس، (إمام دار الهجرة)، المتوفى في سنة(179 هـ - 795 م)، أيام هشام بن عبد الرحمن، فقد استهوى مذهب مالك كما يذكر الأمير هشام بن عبد الرحمن الذي نقل إليه بعض الأندلسيين ثناء وإعجاب مالك به وبحكمه ومدحه له [24] . فتمسك الأفراد الأمويين بمذهب مالك سواء بقصد الإعجاب به أو تفضيله على غيره من المذاهب أو لتأكيد شخصيتهم الاستقلالية، أدى إلى نوع من الاستقرار في البلاد، كما أن سياسة المذهب الواحد هذه جنبت الثغور الإسلامية ورجال القبائل بشكل عام شرور الفتن المذهبية، وحفظت لها سلامتها ووحدتها الروحية، واستمرت الأندلس طيلة عصر الإمارة وما بعده تعتنق مذهب مالك، وتتمتع بالاستقرار الروحي.

لكن هذا الاستقرار الروحي، لم يقف حائلا أمام الفروق بين العناصر المختلفة التي كونت المجتمع الأندلسي، والتي أخذت تزداد في الفترة الأخيرة من عصر الإمارة بدل أن تتناقص، وبدأت تتباين المصالح بدل الاندماج والتوازي. ولم يكن ذلك غريباً مع الاختلاف الديني بين الإسلام والمسيحيين، والتباينات المذهبية الإسلامية، والزحام العنصري بين

[23] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 114 .

[24] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 63 / المقري، المصدر السابق، ج3، ص 230 .

البربر الذين يعدون أن الفتح تم على أيديهم، وأن العرب جاؤوا لتحقيق المكاسب الاقتصادية، يضاف إلى ذلك توسع العلاقات بين شمال أفريقيا والأندلس، وانفتاح طريق الذهب من السودان عبر المغرب إلى الأندلس، أوجد طبقات من الأغنياء واسعي الثروة، تقابلها طبقات هامشية.

هذه العوامل المختلفة وتعقيداتها خلقت ضمن المجتمع الأندلسي اضطرابات مستمرة حاول الأمراء تجاوزها بالتسامح الديني والعنصري تارة أو القضاء عليها بالقوة تارة أخرى. فقد سمح العرب للإسبان ضمن أراضيهم الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم وممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية ، وهذا كله يدخل ضمن نطاق قوة فيها واشتهر الدولة وتفوقها ، فكلما ازدادت قوة الدولة زاد احترامها للشعوب ألأخرى ، ولم يقف حكام بني أمية عند هذا الجانب فقط بل تجاوزتها إلى رعاية شؤونهم الدينية مما يكشف عن هذه الجوانب ما كانت تحاط به معابدهم من الرعاية والاهتمام[25].

وكان لسياسة بني أمية مع أهل الذمة في أيام فترة القوة من عصر الإمارة تأثير كبير عند الفقهاء فيما بعد، حيث كانت الأوضاع الاقتصادية جيدة، وتسامح العرب دينياً فلم يفرضوا على أهل الذمة إلا الخراج والجزية، وقد أخذ المسيحيون وغيرهم من المولدين حقوقاً كثيرة، كالاحتفاظ بالجزء الأعظم من ثرواتهم وعقاراتهم، وأصبح لديهم الحق في توريثها ونقلها لغيرهم، لذلك نشطت الحياة الاقتصادية، وهبت ريح من الرخاء على المجتمع [26]·فكان الإقبال على الإسلام عظيماً بين الطبقات الفقيرة تحديداً، واحتفظ النصارى بتنظيماتهم، ولم يرتدوا الملابس التي تميزهم عن غيرهم، واتخذوا الأسماء العربية إلى جانب اللاتينية، وتعلموا العربية، وبلغ استعرابهم درجة أخذوا معها يختنون أولادهم، ويطبقون نظام الحريم في بيوتهم[27]. ولم يترك لهم فقط نظامهم الإداري والديني،بل استعانوا بهم في الجهاز الإداري الخاص بهم، ووصل بعضهم إلى أسمى المناصب وأخطرها، حتى أدى ذلك إلى فتن وثورات، ومشاكل واجهت أمراء بني أمية في بعض لأحيان، فقد وثق الأمير الحَكم (180– 206 هـ / 796 – 821 م)، بهم حتى أنه عين منهم حرسه الخاص [28]· كما جعل ربيع القومس مسؤول عن جمع الضرائب من المسلمين وأهل الذمة، فكرهه الناس وأدى ذلك إلى قيام الفقهاء فيما بعد وأهالي الربض بثورتهم ضد الحكم في عام (202 هـ / 817 م) . ومما أثار نقمتهم وسخطهم تجاه أمراء بني أمية الذين لم يبالوا بما نعتهم به المشارقة من استخدامهم للنصارى في بلاطهم، والاستكثار منهم . على الرغم من ذلك قامت حركات الاستشهاد المسيحية، والتي استعانت بالإسبان في الشمال، وامتدت هذه الفتنة إلى قرطبة والمناطق المجاورة لها، وإن قوتهم تكمن بقوتهم الاقتصادية وثرواتهم التي جمعوها أيام التطور الاقتصادي، وسياسة التسامح في عصر الإمارة الأولى . كما أن ثورة النصارى لم تقم لجمع الثروات بل بسبب انتشار حركة الاستعراب بقوة، إذ رأوا أن أعداد المسيحيين يتناقصون باستمرار، ومما دفعهم إلى ذلك التعصب الديني، فقد أثار أسقف قرطبة يولوغيوس العواطف وحرض المسيحيين على شتم النبي الإسلام ليحاكموا في المحاكم الإسلامية، ويحكموا بإعدامهم، ويكون المحكوم بذلك شهيداً، ولما قتل زعيم الحركة سنة 282هـ/859م زاد ذلك من قوتها.

والمرأة في المجتمع الأندلسي، عرفت وضعا رائعا قل نظيره. فقد كانت الأميرة والطبيبة والشاعرة والمستشارة والمعلمة والعاملة والخادمة وتلك التي تمشي في الأسواق، كباب العطارين في قرطبة. كما كان لها في كل مدينة من مدن الأندلس ممشى تتروض فيه. وكانت تشارك في المهرجانات والحفلات. ولم تكن تغيب عن أي مظهر من مظاهر

---

[25] – الواركلي(حسن): ياقوتة الاندلس، دار الغرب الإسلامي، 1994، ص 135.

[26] –المقري، المصدر السابق، ج1، ص 134 .

[27] –محمد كرد علي، المرجع السابق، ج1، ص 177 .

[28] –مؤنس (حسين) : فجر الأندلس ، الدار السعودية للنشر والتوزيع' جدة ، ط2، 1995، ص 101.

الحياة. وفصلت في ذلك كتب التراث الأندلسي ككتاب طوق الحمامة أو النفح أو الذخيرة وغيرها. وكانت المرأة مختارة في التحجب أو عدمه.

وكان تعدد الزوجات والتسري بالجواري شائعا عند الطبقة الغنية والمتوسطة. وكان بعض الآباء يعقدون لأبنائهم وهم صغار، أو يقدمون الصداق نيابة عنهم، فتتفق الأسرتان على الصداق مقدارا ونوعا، وقد يكون نقدا أو عقارا أو حليا أو رحلا. وربما تبرع أب البنت لصهره بصداق بنته أو طلب صداقا بسيطا. وكثيرا ما تصرف قيمة الصداق في شورى البنت[29].

والتنوع السكاني الكبير كان مظهراً من مظاهر الضعف في فترة عصر الإمارة المتأخرة، التي أدت إلى تفكك الجبهة الداخلية، وبالتالي أصبحت معرضة لتدخل الإسبان . فالأندلس خليط من العرب القيسيين واليمنيين، بالإضافة إلى المغاربة الذين هم من قبائل مختلفة، وأهل البلاد الأصليين، سواء ممن اعتنقوا الإسلام ونشأوا عليه (المولدين) أم من المعاهدين الذين احتفظوا بدينهم وتقاليدهم، لكنهم استعربوا في الحياة فقط [30] . والصراع بين العناصر المختلفة الذين لم يستطيعوا الانصهار مع بعضهم، وظل خافتاً غير ظاهر بشكل كبير للناس أثناء فترة القوة من عصر الإمارة، نظراً لقوة الأمراء وحسن سياستهم، غير أن هذا الصراع بين عناصر السكان جميعاً بلغ ذروته في أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الثاني (206 -238 هـ / 821 - 852 م) ، وذلك عندما ضعف الأمراء وأصبحوا عرضة لتحكم الوزراء والعناصر الأجنبية وغيرهم . فهذا الشتات المتكون من أصول مختلفة وأديان متباينة، لعب دوراً في محور الأحداث[31]، فالعرب لعبوا دوراً سلبياً من خلال صراعاتهم التي أدت إلى القتتال والهدر الكبير للدم العربي إذ إن صراعاتهم كانت على أساس قبلي(قيسي ويمني) ، فقد كان كل فريق يسعى جاهداً للثأر والانتقام لتحقيق سيادته على أرض الأندلس كلها، بإلاضافة إلى الثورات التي قام بها العرب على الحُكم الأموي هادفة تأسيس إمارات مستقلة خاصة بها، كثورة اليحاصبة وبني الحجاج. ولا ننسى أن العرب نظروا إلى أنفسهم كطبقة حاكمة فوق الجميع وترفعوا عن مزاولة الزراعة والتجارة وانصرفوا إلى حياة المتعة والراحة وانصهر بعضهم في بوتقة المجتمع الإسباني، فبدلا من أن يكون العرب أصحاب المثل والقدوة في تلك البلاد شكلوا عامل ضعف لبني أمية. إن هذا التنوع السكاني وعدم القدرة على ضبط العناصر كلها شكل مظهر ضعف والذي بدوره ساهم في سقوط دولة بني أمية.

كما كان للمغاربة دورُ سلبيٌ جاء من معاملة المشارقة السيئة لهم وهذا الأمر دفعهم للتخلص من الحُكم العربي وإقامة دولة خاصة بهم، وتبدو مسؤوليتهم واضحة من خلال إذكاء نار الحرب بين الفئات المتنازعة على الحُكم في الأندلس فهذه الطبيعة للعناصر المختلفة وما تميز به العرب والبربر من علو وشموخ ، وعدم القدرة على الانصياع، أدى إلى كثرة الثوار ، فما حصل في الأندلس يجعل بعضهم يأنف من الإذعان للبعض . وقد تطرق المؤرخون لهذا الأمر بصراحة ووضوح وعدّوه قاعدة عامة .*((إن العرب متنافسون في الرياسة في حالات نادرة ، وعلى كره من أجل الحياء ، فيتعدد الحكام منهم والأمراء ، وتختلف الأيدي على الرعية في الجباية والأحكام ، فيفسد العمران وينقص))* [32] . وهذا ما يفسر لنا كثرة العصاة والمتمردين من العرب والبربر ، الذين استعانوا بالخارج ضد الأمويين

---

[29] – ابن حزم(أبو محمد علي ت 456هـ): طوق الحمامة، تحقيق طه أحمد مكي، دار المعارف مصر، ط2، 1977،ص 22.

[30] –أمين (أحمد) : ظهر الإسلام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، مصر 2006ج3، ص 20 .

[31]– طلفاح (خير الله) : حضارة العرب في الأندلس دار الحرية ، بغداد، 1988، ص 210/ الشطاط(علي حسين): تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار قباء، القاهرة 2001، ص 103 .

[32] –بن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص 36

،أضف إلى ذلك تأمر بني أمية ضد بعضهم البعض ، من المظاهر البارزة في الفترات المختلفة والتي أدت إلى بداية ضياع الأندلس منهم [33]

ويمكننا أن نقول إن مكونات الأندلس البشرية، صارت مندمجة ولم يكن يفصلها إلا ما كان يفصل أي مجتمع متميز بالحركة والنشاط والتنافس، من أجل كسب الرزق والمعرفة. وقد عبرت أمثال العوام عن هذا النوع من التنافس تعبيرا صادقا. كما أن الظروف التاريخية التي عاشتها الأندلس وتميزت بصراعات في الشمال، ومناورات في الداخل، وبالشعور بالروح الوطنية، سواء لدى المستعربين أو حتى لدى المولدين ممن أسلم، كلها أمور لا يمكن أن تجعل هذا اللقاء الذي عرفته الأندلس لقاء لا يميزه إلا الصفاء. فالصراع والخصام، وأحيانا الحرب، أمور إنسانية تقع بين ذوي الأصول المشتركة، وأهل الدين الواحد. والحذر من سنن الحياة.

رابعاً: مظاهر القوة والضعف في المجال العلمي:

لم تكن الحركة العلمية في الأندلس بعيدة عن التطورات التي شهدتها المنطقة ، ومما ساعد على نشاط الحركة العلمية، قدوم أعداد من الصحابة والتابعين مع الجيوش العربية الإسلامية، وكان منهم ذو حظ من العلم، فساعدوا بوضع بوادر الحركة العلمية بواسطة حلقات العلم في المساجد [34]. إضافة على قدوم أعداد كبيرة من المشرق إلى الأندلس برغبة منهم أو بدعوة من الأمراء والخلفاء، وبالمقابل قامت أعداد كبيرة من العلماء بالهجرة إلى المشرق للتتلمذ على يد علمائها ثم العودة إلى الأندلس لنشر علومهم[35].

الأمويين في الأندلس قدروا العلم حباً في العلم من ناحية، ورغبة في منافسة العباسيين والفاطميين من ناحية أخرى) [36]، من هذا المنطلق قربوا الفقهاء وولوهم مناصب في الدولة، لكن هذا الأمر كان سيفاً ذو حدين، من جهة كانوا يحققون مصالح الحاكم ومن جهة أخرى يثيرون المشاكل ضده. ونتيجة لهذه العوامل وغيرها بات الحركة العلمية في الأندلس بالتطور والازدهار، وأخذت المؤلفات تتوافد وتكتب في الأندلس، فعصر الأمارة أصبح بمثابة فترة علاج للكثير من الأدوار التي سبقتها، وخطيت الأندلس أولى خطواتها العلمية نحو الأمام، فكثرت البعثات العلمية للخارج وتحديداً المشرق، ثم يعودون لعقد حلقات العلم في المساجد التي كانت النواة الأولى للحركة العلمية[37].

وشهد عهد عبد الرحمن الأوسط 238/206هـ دفعة كبيرة للحركة العلمية ووثبة عظيمة للثقافة والفن، لما شهده عهده من الاستقرار والهدوء واليسر والرخاء، حتى سميت أيامه بالعروس[38]. فقد كان شاعراً، أديباً ، حريصاً على اقتناء الكتب فقد أرسل عباس بن ناصح الشاعر إلى المشرق من أجل شراء الكتب النافعة (السند هند) [39]. وأدى ذلك كله إلى ظهور كثير من العلماء في علوم شتى إسلامية وعربية وبدايات للعلوم العقلية والتطبيقي، ويمثل عباس بن فرناس هذا التطور حيث نسبت إليه اختراعات عدة منها صناعة الزجاج من الحجارة، وآلة لمعرفة الوقت[40].

---

[33] – المقري، المصدر السابق، ج2، ص 72

[34] – المصدر السابق، ج1، ص 279.

[35] – أمين(أحمد): المرجع السابق، ج3، ص 24.

[36] – الشكعة(مصطفى): المرجع السابق، ص 97.

[37] – هيكل (أحمد): المرجع السابق، ص 74.

[38] – المقري، المصدر السابق، ج1، ص 325.

[39] – ابن سعيد، المصدر السابق،ج1، ص 44.

[40] – مؤنس(حسين): المرجع السابق، ص 261.

وهذه الحركة العلمية لم تكن مقتصرة على عنصر دون الآخر، شاركت فيها شتى عناصر المجتمع من عرب وبربر ومولدين ومستعربين، وكان للمرأة دور علمي بارز. ومن المظاهر التي ميزت الحركة العلمية شيوع التعليم باللغة العربية حتى في معاهد أهل الذمة ومؤسساتهم، ولهذا أثره العميق في انتشارها وبالتالي اعتناق العديد من المستعربين للإسلام، وهذا أدى إلى ظهور حركة الاستشهاد[41].

ورغم هذا التطور العلمي الكبير للعلوم الدينية، فإن العلوم الأخرى كالفلسفة لم تلق حظ كبير من الاهتمام، وكان المشتغلون فيها موضع نفور واضطهاد واتهموا بالكفر والإلحاد والزندقة، يقوا ابن سعيد المغربي:((وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم من يشتغل بهما يجتهد في إخفاء ذلك حتى لا يطلق عليه لقب زنديق ويقتل ويحرق هو وكتبه)) [42].

خامساً: مظاهر القوة والضعف في مجال العمران:

ولقد صبغ العرب مدنهم المفتوحة بطابع عربي مميز، وذلك بإقامة المساجد التي تعد نواة لعمارة المدن وتمددها، حيث أن المسجد يصبح بمرور الزمن مركز المدن والحواضر وقلبها النابض فمنه تتفرع الطرق الكبيرة المؤدية إلى أبواب المدينة، ثم تتفرع منها الشوارع والأزقة الموصلة للأحياء. وحول ساحة المسجد تقام الأسواق والحمامات والفنادق والقيساريات. وبداخل المسجد تعقد الاجتماعات السياسية، وتوزع ألوية الجيش، وتدرس العلوم الدينية والعلوم العامة. وهكذا نجد أن للجامع أثراً إيجابياً على حياة المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولقد كانت هذه الظاهرة تتبع في كثير من المدن التي يفتحها أو يختطها العرب في شتى أصقاع المعمورة، فهذا هو حال دمشق والإسكندرية وقرطبة وأشبيلية وطليطلة وغيرها.

ولقد كانت بلاد الأندلس بمآثرها المختلفة، العلمية والعمرانية والفنية، مركز إشعاع مستديم للحضارة العربية منذ أن توطدت جذور الحكم العربي فيها، ولاسيما في عهد عبد الرحمن الداخل ذلك الأمير الذي كرس حياته لبناء الدولة العربية في الأندلس. فبعهده بدأ فن العمارة يتلمس طريقه في الأبنية الدينية والمدنية. ومازالت في الأندلس إلى يومنا الحالي شواهد حية على صدق تلك الحركة الكبرى في البناء والتشييد. ذلك أن عناصره المعمارية والزخرفية تؤلف البذور الأولى للفن الأندلسي، حتى أخذت زخارفه تشع في المشرق والمغرب، بل أثرت في الزخرفة المسيحية المجاورة. ولا شك أن عهد الانطلاقة المعمارية هذا يشف عن مثل من أروع أمثلة العمارة الإسلامية في العصر الوسيط.

وبعد ذلك العصر أي عصر الإمارة، وذروته عهد الأمير الداخل تتابعت العهود على بلاد الأندلس ، وكلها كانت تولي اهتماما بالغا بالفن ومظاهر العمارة المختلفة المدنية والدينية والدفاعية. ومازالت قائمة منذ تلك العهود شواهد معمارية حية تميز بين عهد وآخر، وعلى الرغم من قلة هذه الشواهد المعروفة المتكاملة البناء في عصرنا الحاضر كجامع قرطبة وحمراء غرناطة، ومنارة أشبيلية وبرج الذهب فيها، إلا أن هناك كثيراً من الآثار الأندلسية المتناثرة في مدن وقرى إسبانيا. بل لا نبالغ إذا قلنا أن العمارة الإسبانية في معظم بلدان وسط وغرب وجنوب شبه الجزيرة الأيبيرية هي ذات طابع أندلسي يسهل تمييزه من خلال بعض العناصر المعمارية والزخرفية ذات الأصل الإسلامي التي قدر لها أن تتطور في إسبانيا.

---

41 – عنان، المرجع السابق، ج1، ص 229.

42 – ابن سعيد ، المصدر السابق، ج1، ص 44/ المقري ، المصدر السابق، ج2، ص101.

ومما يؤسف له حقاً أنه عند التعرض لبلاد الأندلس في أي مجال من مجالات المعرفة فإن ضرب الأمثلة وطرح الشواهد ينصب على عدد محدود من المدن الإسلامية في إسبانيا، لكن الواقع خلاف ذلك تماماً. إذ يحلو للكثير الحديث في مجال العمارة مثال عن حواضر ومدن كبيرة وشهيرة كطليطلة ومالقة وقرطبة وغرناطة ونحوها، لكن هناك عشرات بل مئات من البلدان التي تحتوي على آثار إسلامية لا تقل أهمية عن آثار تلك الحواضر، سواء كانت مساجد أو منازل أو قلاعا أو أسوارا أو قناطر وغيرها. وينبغي أن نوجه العناية لتلك البلاد المنسية ونبرز آثارها الحضارية كلما سنحت الفرصة لتناول حضارة المسلمين في الأندلس. هذه البلدان التي تحتوي في الغالب على أنواع العمارة الأساسية الثلاثة الدينية والمدنية والدفاعية، تزخر بكم هائل من طرز العمارة وعناصرها التي تميزت بها بلاد الأندلس. ولقد نبع وترعرع تميز عمارة هذه البلاد من جذور إسلامية قد يراها المرء في معظم حواضر ومدن الأقاليم الإسلامية، لكن عمارة بلاد الأندلس تفردت بمميزات أملتها ظروف عديدة من أهمها نماذج الحضارات وتتابعها في حقبة تاريخية غير طويلة، إلى جانب توافر العديد من الإمكانات التي تساعد المعمار والفنان المسلم على الإبداع والتفوق من قبيل توفر المادة الخام من الأحجار والرخام والأخشاب، وكذا توفر الظروف الجغرافية المناسبة التي تدفع إلى الابتكار والتطوير. ومن أهم العمائر في عصر الإمارة (قصر الإمارة– المسجد الجامع– مدينة الرصافة)[43] وقد يتمكن المعاين عند إلقاء نظرة سريعة فاحصة التعرف على أبرز مميزات العمارة الأندلسية وذلك على النحو التالي:

1- المبالغة ببسط مساحات الجوامع والقصور عند تصميمها يرافق ذلك ارتفاع وسمك جدرانها، حتى ليخيّل للمشاهد أن هذه الأبنية ليست إلا قلاعا أو حصونا حربية.

2 – الاهتمام برفع أسقف المساجد وعمارتها على عقود وأعمدة رخامية جميلة، مع الاهتمام برواق القبلة والبلاطة الوسطى على وجه الخصوص، إلى جانب غرس صحن المسجد بأنواع الأشجار المثمرة والاستفادة منها كظلل للمصليين.

3- الاهتمام قدر الإمكان برفع منارات المساجد، وذلك حتى يصل صوت المؤذن إلى أقصى مسافة ممكنة، إلى جانب اعتبارها معلما يهتدي بها الناس إلى البلدان.

4- تصميم الدور الأندلسية انطلاقا من فناء مركزي تطل عليه وحدات المنزل السفلية والعلوية، بحيث يخدم الفناء كمتنفس للمنزل مع استخدامه لمزاولة العديد من النشاطات العائلية.

5- بناء المنازل على أزقة ضيقة كي تستجيب لأهداف اجتماعية وأمنية شتى كالاهتمام الأسري والتكاتف الاجتماعي والأمني.

6- الاهتمام بالزخارف الداخلية الكتابية والنباتية والهندسية.

ومن البديهي أن هذا التطور العمراني الكبير دليل واضح على قوة الدولة ومدى الرخاء والازدهار الذي وصلت إليه البلاد، لكنه من جانب آخر ُثار نقمة العامة، فندما تصرف موارد الدولة على العمائر التي كلفت الكثير يعني حرمان الشعب منها وبالتالي زيادة في فرض الضرائب عليهم، وقد ذكر المقري في مواضع عدة مقدار ما صرف من أموال على تلك العمائر: ((*إن عبد الرحمن الداخل لما استقر أمره، وعظم، وبنى القصر بقرطبة، وبنا المسجد الجامع، وأنفق عليه ثمانين ألف دينار*)) [44]، وهذا الأمر يفسر ثورات العامة نتيجة الحرمان والظروف الاقتصادية السيئة.

[43] – المقري، المصدر السابق، ج2، ص 97.

[44] – المصدر السابق، ج2، ص 308.

سادساً: مظاهر القوة والضعف في الجانب العسكري:

لم تظهر الحاجة إلى الاهتمام بالأسطول إلا في عهد عبد الرحمن الأوسط 230هـ/854م حين هجمت قبائل النورمانديين على مدينة اشبيلية ودمروها، ونهبوا ثرواتها، ثم تركوها إلى شذونة والمرية ومرسية....وعم الخوف في البلاد[45]. فعمل عبد الرحمن إلى تفادي الأخطاء والتي كانت سبباً في دخول النورمانديين إلى بلاده، وبما أنّ اشبيلية تقع على نهر الوادي الكبير الذي يصب في المحيط الأطلسي، ومن السهولة أن تدخل السفن النورماندية إليها، فأمر بإنشاء سور ضخم حول اشبيلية، وحصنها تحصيناً منيعاً[46]، وقام بإنشاء أسطولين أخدهما في الأطلسي والآخر في المتوسط[47]، فالخطر الشيعي بدأت تظهر بوادره، وأرفق ذلك بإنشاء دور لصناعة السفن، فأصبحت الأساطيل الأندلسية تجوب البحار للأمور العسكرية والتجارية.

نجح أمراء الأندلس في تأسيس قوة عسكرية كبيرة، تمكنت من الوصول إلى أقصى الشمال، رغم الظروف الطبيعية والجغرافية المختلفة في الأندلس، التي كان لها أثرها السلبي على الأندلسيين، فالجنوب له مناخ الشمال الإفريقي، والشمال له مناخ بارد، وقد أثر هذا التنوع في وضع الجنود وكان الثائرون يعلنون عصيانهم مستمدين قوتهم من مواقعهم في مناطق محضة وجبال شاهقة يصعب على جيوش أمراء بني أمية أن تقضي عليهم أو تلغي تمردهم . مع ذلك استطاع الجيش الأندلسي من التصدي للتمردات الداخلية والخارجية، فترة طويلة من الزمن، وقد أكثر أمراء بني أمية من الاعتماد على العناصر المختلفة من مشارقة ومغاربة ومولدين ومستعربين، لكن هذا الأمر لم يكن له أية جوانب سلبية في أيام الأمراء الأقوياء، فمجرد بداية التراجع في الدولة أخذت كل فئة تنضم إلى الحركة الموالية لها، فالولاء في زمن القوة كان للجيش والدولة، أما في زمن الضعف حسب المصالح.

سابعاً: مظاهر القوة والضعف في مجال الإدارة:

منذ تأسيس الإمارة على يد عبد الرحمن الداخل، لم يتجه البيت الأموي إلى إيجاد وظيفة الوزير التي نعرفها عند العباسيين في المشرق وإنما اعتمد الأمراء على أفراد البيوت المخلصة لهم، وكان أهل هذه البيوت أولا مقصوراً على موالي بني أمية وأولادهم وما تفرع عنهم، ثم دخلت عليهم أسر أخرى قربها الأمراء، وكان منهم العرب والمولدون والمستعربون أحيانا، وكان الكثيرون منهم من البربر كذلك.

ولم يكن لأفراد هذه البيوت لقب معين أو وظيفة معينة، وحتى قيادة الجيوش تولاها الأمراء وأنابوا عنهم في أحيان كثيرة رجالاً حملوا لقب القائد ولكن لفترة الحملات فقط، إلا أن ظهور شخصيات ممتازة حقّا من أمثال عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث وعيسى بن شهيد، جعل من الضروري أن يجاز أولئك الرجال بألقاب ثابتة، فنجد عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث يصبح قائد الجيوش بصورة مستمرة، ويصبح عيسى بن شهيد قائدا أيضا، ثم نجد لقباً آخر يضاف إلى ابن مغيث وهو الحاجب، وترتبط بوظيفة الحاجب كل الاختصاصات التي كانت للوزير في المشرق، وبالفعل تصبح الحجابة في الأندلس مماثلة للوزارة في المشرق، ويصبح الحاجب ثاني شخصية في الدولة بعد الأمير.

وقد وزعت الاختصاصات الإدارية بين أفراد هذه البيوت، فهذا للمال ويسمى الخازن وذلك للأمن ويسمى صاحب الشرطة، وذلك للمنشآت ويسمى صاحب الأشغال، ثم نجد لقب الوزير يعطى لهؤلاء على أنه لقب تشريف أو درجة وظيفة في أول الأمر، ثم نجده بعد ذلك مرتبطاً باختصاص معين، فنجد الوزير عيسى بن شهيد يقود الطوائف

---

[45] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 87.

[46] – الحميري، المصدر السابق، ص 200.

[47] – المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 346.

ويسمى بالوزير القائد، ويوسف بن بخت يتولى شؤون المال ويسمى بالوزير الخازن ومحمد بن السليم يتولى المواريث ويسمى الوزير صاحب المواريث وهكذا.

ومن أيام عبد الرحمن الأوسط نجد الوزير في الأندلس له معنى الوزير في أيامنا واختصاصاته ومسؤولياته، ونجد الحاجب يصبح رئيس الوزراء، فهو الوزير الكبير، وهو الذي يلقى الأمير كل يوم ويناقشه في شتى المسائل، ويجتمع كل يوم مع أصحاب الوزارات في دار خاصة عرفت بدار الوزارة، وفي هذا البيت يجلس الوزراء على ترتيب معين في هيئة دائرة، لكل وسادة يجلس عليها، ووسادة الحاجب أعلى من بقية الوسائد، ونجد لكل واحد من الوزراء ديوانه وكتّابه. والمسائل تدرس وتتخذ فيها القرارات، ثم يأخذها الحاجب إلى الأمير ويعرضها عليه، فما يُتفق عليه يُدخل ديوان الأمير لتحرر بصدده الصيغة الديوانية أو القانونية المناسبة، ثم يقدمها من جديد الوزير صاحب العرض إلى الأمير لتختم بخاتمه ثم بخاتم الدولة، وتصدر على النحو الذي تصدر به المراسيم اليوم، وتكون سارية المفعول من يوم صدورها.

وقد تعددت وظائف الوزراء، فنسمع مثلا بوزير الخيل؛ وهو الوزير المكلف بإعداد الخيل اللازمة لجيوش الدولة والعناية بها وبما تحتاج إليه من سرج ولجم ومراع وما إلى ذلك، وهناك وزير الفرعنة، ومهمته تقديم الخيل اللازمة لكل حملة مع فرسانها وإعداد الفرسان بكل ما يلزمهم، وهناك وزراء بلا تخصص معين، وهم أشبه بوزراء الدولة، ومكاتبهم في القصر ليكلف الأمير منهم من يشاء بما يشاء.

وهؤلاء الوزراء جميعاً لهم الحق في لقاء الأمير والحديث معه، وهم حاشيته ومنهم أيضاً ندمانه، وكانت عناية الأمير تمتد إلى أولادهم فإذا مات الوزير أو عطل عن العمل حل محله ابنه، وفي أحيان كثيرة لا يكون الابن ذا كفاية تؤهله للوظيفة، فيعين له الأمير من يعاونه في العمل حتى يتقنه، وذلك حرصاً من الأمراء على أن تكون الأمور دائما في أيدي هذه البيوت المخلصة التي تشبه أسر النبلاء التي تحيط بملوك أوروبا المسيحية.

وكان الأمراء يقيلون الوزراء إذا ساءهم منهم شيء ما، وعندما يقال الوزير ترفع وسادته من بيت الوزارة، وليس من الضروري أن يحل محله وزير آخر، وقد ينقل الوزير من وزارة إلى أخرى، وقد يعطى موظف كبير مثل صاحب المدينة أي محافظ العاصمة، لقب الوزير فيسمى الوزير صاحب المدينة وتوضع له وسادة في بيت الوزارة. وفي بعض الأحيان لا نجد حاجباً، فيقوم بعمله الوزير صاحب العرض، وهذا الأخير كان يعدّ من خاصة الأمير أي من أهل القصر أي من الحاشية[48].

لكن في أواخر عصر الإمارة ، أدى هذا الأمر إلى ظهور الفساد، وأصبح الأمير حاكم البلاد ألعوبة بيد مساعديه ، فعهد الأمير محمد (238 هـ – 272 هـ / 852 – 885 م) ، تميز بسيطرة وزيره هاشم بن عبد العزيز الذي عمل لمصلحته الخاصة ، ونتج عن ذلك كثرة الاضطرابات في الدولة [49] إضافة إلى الصراع بين الوزراء وبين مساعدي الأمير من أهل الذمة مثل ربيع القومس الذي ظهر نفوذه في عهد الحكم الربضي، وقومس بن انطونيان الذي ارتفع شأنه في عهد الأمير محمد، وما رافقه من تآمر الوزير هشام بن عبد العزيز عليه،وصار التآمر ظاهرة بارزة في

[48] – شلبي(أحمد): موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية' ط8، 1985، مج 4، ج4، ص 125– 126.

[49]– الخشني(محمد بن حارث القيرواني ت 361هـ): ، قضاة قرطبة، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، 1981، ص 90 .

ذلك العصر بين رجال القصر والواشين، و اقترن ذلك بانتشار الظلم على الرعية، وهذا ما دفع القضاة للتسابق على هذا المنصب لزيادة ثرواتهم من الرشوة فضعفت السلطة وازداد الخطر، وكثر الاضطراب الداخلي [50]

الخاتمة:

حب أمراء بني أمية للعدالة وانقيادهم للحق ولو كان هذا الأمر على أنفسهم أو على أقرب الناس إليهم من الصفات البارزة التي اتصفوا بها ، وكانت مصدراً قوياً من مصادر قوتهم ، فقد اطمأن الناس والخواص لحكمهم ، وتفرغ الناس للعمل في شؤونهم الزراعية والصناعية والتجارية ، فزادت ثرواتهم ، وتمت ملكياتهم ، وتطورت حياتهم. وأدت تلك السياسة الرشيدة إلى بناء دولة قوية و ازدهرت الحياة في مناصيها وازداد العمران.

ومما هو جدير بالذكر أن التمازج بين السكان وانفتاح الأندلس على مختلف التيارات وسياسة التوازن ، والعدالة التي طبقها أمراء بني أمية أدت إلى ظهور حضارة أندلسية مزدهرة وصل تأثيرها إلى المغرب ، ومن أبرز مظاهرها ازدهار اللغة العربية ، بعد أن أصبحت لغة الإدارة والثقافة في أنحاء الأندلس جميعها.

لكن سياساتهم في فترة الضعف والتي أدت إلى التفرقة العنصرية والدينية ، وإلى انفصال عدد من المناطق عنهم .وعلى الرغم من أن أمراء بني أمية اتبعوا سياسة القوة والبطش لبسط سلطانهم ،و ذلك بالاعتماد على الحكم المطلق، ووقوفهم ضد أعدائهم في الداخل والخارج ، بالإضافة إلى استخدامهم لعناصر مختلفة إلى جانبهم ، ووضعهم العرب جانباً ، ورغم نجاح هذه السياسة في وحدة الجبهة الداخلية إلا أنها كانت من جانب أخر مظهر ضعف تجلى في ناحيتين، أولها : صعوبة التعامل مع هذه العناصر الأجنبية في فترة الضعف في أواخر عصر الإمارة ، بعد أن كانت خطرة جداً وقوية في فترة القوة في أوائل عصر الإمارة ، وثانيها سياسة الحكم المطلق والتي لم يألفها العرب على عكس الإسبان الذين كانوا على هذا الخط من الحكم المطلق منذ العهدين القوطي والروماني ، ولم يكن العرب في الأندلس لم يكونوا يجتمعون ويلتفون حول بعضهم البعض إلا إذا شعروا بالخطر القادم إليهم والحادق بهم من نصارى الشمال الإسباني ، هنا فقط كانوا يتكاتفون ويعملون يداً واحدة .

فمظاهر القوة والضعف في عصر الإمارة متباينة وذات تأثير متباين من فترة إلى أخرى، وكل مظهر من هذه المظاهر سواء أكان قوة أم ضعفاً كان سلاحاً ذا حدين يتأثر به الناس بحسب الوضع السياسي الكائن .

ويمكن أن نختم بالقول إن عصر الإمارة في الأندلس مهما تعددت مظاهره وتنوعت، لم يكن إلا استمراراً طبيعياً لدولة بني أمية في المشرق، فقد حرص عبد الرحمن الداخل على بعث الحضارة الأموية في شبه الجزيرة الإيبيرية ، وبالفعل نجح الداخل في توطيد الحكم وأحل حكم الدولة بدلا من الولاء للقبيلة، كما سعى للقضاء على العصبيتين القيسية واليمنية، كما أنه لم يميز بين المشارقة والمغاربة، وقام بحل مشكلة ولاية العهد، وجعل رغبة الحاكم هي القاعدة والأساس في اختيار ولي العهد، فقد كان رجل دولة من الطراز الأول، غير أن هذه الأمور مجتمعة لم تنطبق على السنوات الأخيرة في عصر الإمارة، فكل الحضارات تمر بمرحلة التأسيس ثم القوة ، فالسقوط، فلولا ذلك لما تنوعت الحضارات وعشنا فترات التأثر والتأثير.

---

[50]- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي ت 488 هـ) : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1997،ص 245 / المقري، نفح الطيب، ج2،

قائمة بأسماء المصادر

1. ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ت 658 هـ) : الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2 1985، ج1.
2. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ت 630 هـ): الكامل في التاريخ، القاهرة، 1290 هـ، ج7.
3. ابن الخطيب (لسان الدين بن محمد السلماني ت 776 هـ) : أعمال الأعلام في مَن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956، ج2.
4. ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر الإشبيلي ن 367 هـ) : تاريخ افتتاح الأندلس، تح ابراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، ط1 بيروت 1985.
5. ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت 542 هـ) :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ق4، ج1، 1995.
6. ابن حزم (أبو محمد علي بن محمد بن حزم القرطبي ت 456 هـ) : جمهرة أنساب العرب، تح ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1948.
7. ابن حزم (أبو محمد علي بن محمد بن حزم القرطبي ت 456 هـ) :
   - نقط العروس، تح شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، القاهرة، مجلد 13، العدد 2، 1951
   - .طوق الحمامة، تحقيق طه أحمد مكي، دار المعارف مصر، ط2، 1977.
8. ابن حوقل(أبو القاسم محمد بم علي ت 380هـ) صورة الأرض، ليدن ، 1976.
9. ابن حيان (أبية مروان حيان بن خلف القرطبي ت 469 هـ): المقتبس من أبناء أهل الأندلس، نشر الأب طشورأنطونيه، باريس، ج3، 1937.
10. ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي ت 683 هـ) : المغرب في حلى المغرب، تح شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، ج1، 1955.
11. ابن عذارى (والعباس أمد بن محمد بن عذارى المراكشي): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ليفي بروفنسال، بيروت، 1969، ج2.
12. الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي ت 488 هـ) : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1997.
13. الحميري : (محمد بن عبد المنعم ت 726 هـ) : صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح ليفي بروفنسال، دار الجبل، بيروت، ط2، 1988، ص 30 / ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6.
14. الخشني(محمد بن حارث القيرواني ت 361هـ): ، قضاة قرطبة، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري واللبناني، 1981.
15. المراكشي (أبو محمد عبد الواحد بن علي محي الدين التميمي ت بعد سنة621 هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد سعيد الريان، القاهرة، 1963,
16. المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت 1041 هـ) : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المطبعة الأزهرية، مصر، ج3.

المراجع:

17. أمين (أحمد) : ظهر الإسلام، المكتبة العصرية للنشر، مصر 2006، ج3.
18. السامرائي (خليل)، طه (عبد الواحد ذنون)، مطلوب (ناطق صالح) : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديدة، بيروت، 2000، ط1.
19. الشطاط(علي حسين): تاريخ الاسلام في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار قباء، القاهرة، 2001.
20. الشكعة(مصطفى): الادب الأندلسي (موضوعاته وفنونه)، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1975.
21. شلبي(أحمد): موسوعة التاريخ والحضارة الاسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية' ط8، 1985، مج 4، ج4.
22. طلفاح (خير الله) : حضارة العرب في الأندلس، دار الحرية ، بغداد، 1988.
23. العبادي (أحمد مختار) : في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعارف، د.ت.
24. فهمي (عبد الرحمن): موسوعة النقود الاسلامية، القاهرة، د.ت، ج1،
25. كرد علي(محمد): ظهر الاسلام، المكتبة العصرية للنشر، مصر، 2006.
26. مؤنس (حسين) : فجر الأندلس ، الدار السعودية للنشر والتوزيع' جدة ، ط2، 1995، ص 101.
27. الواركلي(حسن): ياقوتة الاندلس، دار الغرب الاسلامي، 1994.

المراجع المعربة:

28. بروفنسال(ليفي): الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، 1956.
29. ستانلي (لين بول) : قصة العرب في اسبانية، ترجمة علي الجارم، مصر، 1960.

المراجع الأجنبية:

30. lLProvencal:Histoire del 'EspagneMuslumame , paris 1989 ,
31. Mcasirl,Beblio theca,Arabica Escuria lenis, madrid,1770,vol 2 .